رابعا : أثبتت الوقائع ، على امتداد العشرين عـــاما الاخيرة على الاقل ، ان حدة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي وشدة الصراع العربي الداخلي ، متغيران يتناسبان ، دوما ، تناسبا عكسيا . فكلما ارتفعت درجة غليان احدهما هبطت درجة غليان الآخر . والقرائن كثيرة لا تدع مجالا للشك : فالتضامن العربي أثناء حرب ١٩٥٦ كان بمثابة نقيض للتمزق العربي الذي ساد طوال الفترة ١٩٤٩ ـــ ١٩٥٦ . ولا يشابه هذا التمزق ويفوقه الا الاقتتال الذي طبع العلاقات العربيـــة في الحقبة ١٩٥٧ ـــ ١٩٦٧ والذي انتهى ، وان لفترة قصيرة جدا ، مع اندلاع نار حرب ١٩٦٧ . ومرة جديدة ، شكلت حرب ١٩٧٣ نقطة تحول نوعي في التضامن العربي مقارنة بالعلاقات العربية الداخلية المتأزمة التي هيمنت على المسرح العربي ما بين الحربين الاخيرتين في ١٩٦٧ و١٩٧٣ على التوالي . كذلك ، فان بدايات انفراط العقد العربي الذي تشكل قبيل واثناء وبعد ١٩٧٣ لم تعد خافية على أحد .

خامسا : وان كانت الصراعات المتسمة بالعنف العلني ماثلة للعيان اكثر من غيرها ، فان ذلك لا ينفي وجود أو يغيب حقيقة كون المنطقة مفعمة بالصراعات غير المعلنة ، العنيفة منها وغير العنيفة على حد سواء . وهكذا نرى أن حرب الاستنزاف الدائرة هي أوسع من أن تقتصر على الصدامات الاردنية ـــ الفلسطينية ، واللبنانية ـــ الفلسطينية ، مع ان هذه الصدامات دون غيرها تطفو دوما على سطح الذاكرة العربية كلما كان هناك حديث عن حرب الاستنزاف الداخلية العربية . ولا غرابة في ذلك ، فالصدامات المخضبة بالاحمر القاني ثقيلة الحضور ودائمته وبخاصة عند مقارنتهـا بالصراعات السياسية البيضاء أو غيرها مما يشبهها .

وملف التصادمات العربية ـــ الفلسطينية الحديثـــة ، الاردنية ـــ الفلسطينيـــة واللبنانية ـــ الفلسطينية بشكل خاص ، يحمل بين غلافيه الكثير من الوقائع التي يمكن رصدها منذ البدايات المبكرة للانبعاث الفلسطيني الجديد المتمثـــل في منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات العمل الفدائي الفلسطيني . وان كان التناقض مع المنظمة قد احتاج وقتا لينضج(١)، فان جذوة التناقض ما بين الانظمة والمنظمات ولدت متأججة متفجرة . والفارق عائد الى ما مثلته منظمات العمل الفدائي ، وفي طليعتها حركة فتح ، وما مثلته منظمة التحرير آنذاك . فالعمل الفدائي بمضمونه الفكري الثوري وبأسلوبه الجاهيري التنظيمي القتالي ، وجد نفسه ، ومنذ اللحظات الاولى ، في وسط حركة جدل صدامي مع كثير من القوى الرسمية وغير الرسمية العربيـــة وبخاصة في الحلقتـــين الاضعف (الاردن ولبنان) في طوق دول المواجهة مع اسرائيل . ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن العمل الفدائـــي الفلسطيني ، وبالذات منظمـــة العاصفة ـــ الجناح العسكري لفتح ، تعرض لنوعين رئيسيين من الاجراءات الرسمية العربية : التعتيم الاعلامي والقمع المادي(٢).

الا أن الظروف الاستثنائية الناجمة عن الهزيمة العسكرية الفادحة لدول المواجهة في العام ١٩٦٧ أدت الى تعزيز فكرة العمل العربي الشعبي المسلح بشكل عام والى تدعيم العمل الفدائي الفلسطيني بشكل خاص . وكانت النتيجة أن نما العمل الفدائي على مختلف المستويات التنظيمية والجماهيرية ، السياسية والعسكرية ، وتحولت منظماته الى قوة بارزة ضمن شبكة القوى الفاعلة في الشرق الاوسط . وهكذا أصبح « الوجود الفلسطيني » منذ العام ١٩٦٨ في الاردن ، والعام ١٩٦٩ في لبنان ، حقيقة واقعة . وكان لذلك نتائج خطيرة :

فمن جهة ، عنى نمو العمل الفدائي السياسي والاعلامي والقتالي ازديادا في عملياته